

لم تظهر إلا بعد أن أخضع محمد الناس لسلطانه بالقوة ، ولذلك فقد تأخر ظهور هذه الكلمة إلى منتصف العهد المدني تقريباً . وهذا زعم خارج على كل الحدود والمعهود في تاريخ الإسلام وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم . إن هذا الكاتب يجدف ضد محمد بلا وعي فهو يجعله رجلاً معتاداً من عرض الناس يأكل ويشرب مثلهم ، ويتزوج وينجب مثل عموم البشر ، وليست تميزه أي صفات مطبوعة أو مكتسبة ، ويزعم نفس الكاتب أن محمداً لم تكن تتوفر له موهلات النبي ، ولهذا فإنه لم يكن متوقفاً منه أن يأتي بمعجزة يؤكد بها دعوى النبوة ، حتى أنه قد تذرّع بحجة أن الله يجري المعجزة على مشيئته وحده ، وما قال محمد ذلك إلا ليداري عجزه .

إن النبي صلى الله عليه وسلم كان مؤيداً بالمعجزة كما كان مؤيداً بالوحي ، وأكبر معجزات الرسول وأبقاها هي معجزة القرآن الكريم التي تحدى الله بها الجن والإنس فرادى أو مجتمعين أن يأتوا بمثله ، كله أو بعضه فعجزوا . ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم أيضاً الإسراء والمعراج وغير ذلك من المعجزات التي لا يتسع المقام هنا لتبعتها . وفي هذه القرينة نلفت النظر إلى أن المسيح عليه السلام رفض في أكثر من موقف أن يظهر معجزة وذلك عندما كان يلاحظ تعنت السائلين ، وعلى سبيل المثال فقد جاء في إنجيل متى الإصحاح السادس عشر " وجاء إليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء . فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلتم صحو . لأن السماء محمرة . وفي الصباح اليوم شتاء . لأن السماء محمرة بعبوسة . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الأزمنة جيل شرير فاسق يلتمس آية . ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . ثم تركهم ومضى " . ويعود رودينسون مرة أخرى إلى القرآن فيزعم أن إصرار القرآن ، وإصرار المسلمين على أنه نزل بلسان عربي مبين إنما يخفي وراءه حقيقة وهي أن محمداً قد انتحل من كتب اليهود والنصارى .

ويذكر مع كاتب مادة القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية بأن كلمة قرآن نفسها مأخوذة من الكلمة السريانية قريانا Qeryana ولسنا ندري كيف وصلت الكلمة السريانية إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف استعملها مع وجودها ووجود أمثالها بكل مشتقاتها في اللغة العربية .

إن هذا هو عين التنطع من رودينسون وأمثاله من المستشرقين ، ولو أننا أخذنا مجرد المشابهات الصوتية بين بعض الكلمات في سائر اللغات لوجدنا منها الكثير والكثير مما يمكن أن يمهد الطريق لمثل زعم المستشرقين هذا في دعوى الانتحال . ولكننا بالرغم من